كلمة البروفسور سليم دكّاش اليسوعيّ، رئيس جامعة القدّيس يوسف في بيروت، في افتتاح "الأسبوع اليسوعيّ، اليسوعيّون والالتزام بالمواطنة"، يوم الإثنين الواقع فيه ٥ آذار (مارس) ٢٠١٨، في مدرّج بيار أبو خاطر.

عزيز علينا في هذا المساء أن نجتمع معًا حول مناسبة لا كغيرها من المناسبات، فأهلاً وسهلاً بكم أنتم، مسؤولين وأساتذة وطلاّب وأصدقاء، تشاركون معنا في إحياء هذا الأسبوع، نستلهم منه ما هو مفيد لحياتنا الفرديّة والجماعيّة. فللمرّة الأولى في تاريخها، على الأقلّ الحديث، أي منذ السنة ١٩٧٥، تنظّم مرشديّة الجامعة أسبوعًا أسمته الأسبوع اليسوعيّ (semaine jésuite) على مدى خمسة أيّام تحت عنوان "اليسوعيّون والالتزام بالمواطنة".

فشكري وشكر مجلس الجامعة يتوجّه إلى مرشد الجامعة، بشخص الأب المرشد العامّ جاد شبلي، على هذه المبادرة التي تجمع القول إلى الفعل بأن نرى المرشديّة تحمل معنا هموم الجامعة وتساهم بشكلٍ مباشر فعليّ في عمليّة تمكين الشبيبة من فهم قضيّة المواطنيّة والتعريف بها عبر هذا الأسبوع المليء بالنشاطات المتنوّعة، ومنها التعرّف إلى شخصيّات يسوعيّة اتّسمت حياتها بالانتماء إلى المواطنيّة الحقّ.

أقول إنّ الجامعة التي يطلَق عليها شعبيًّا اسم الجامعة اليسوعيّة تعتزّ بأن تكرّس أيّامًا من سنتها الأكاديميّة، للدلالة على أنّ هذه الصفة "اليسوعيّة" بما تحمله من معانٍ ورموزٍ ليست مجرّد إضافة على مسمّى الجامعة بل هي جزء لا يتجزّأ من تاريخها الطويل منذ السنة ١٨٧٥، تاريخها القديم والحديث، لا بل جزءًا لا يتجزّأ من ذاتيّتها ووجودها، حيث استمرّت تحمل هذه الصفة الملازمة لا فقط لأنّها منبثقة عن رهبانيّة يسوعيّة إمتدادها إمتداد العالم ولا لأنّ على رأس الجامعة يسوعيّ يرعى شؤونها ولا لأنّ فيها ما يقارب من الخمسة عشر يسوعيّ عاملين في خدمة رسالتها، منهم بوقت كامل ومنهم بوقت أقلّ، بل لأنّ جامعة يسوعيّة ها هنا في وسط بيروت فذلك يعني أنّ

الكثير من روحانيّة اليسوعيّين ومن رؤيتهم للعالم وللناس والكثير من تقليدهم التربويّ ومن التزامهم بقضايا البشريّة، دخل في صلب حياة هذه الجامعة، بالذات سنة بعد سنة، وقرنًا بعد قرن وجيل بعد جيل.

جميل هذا العنوان "اليسوعيّون والالتزام بالمواطنة" والدلالات التي يحملها، وجميل أن نتذكّر، عبر هذا العنوان، أربعة روّاد من الرهبان اليسوعيّين، اثنين عاشا معنا وبيننا، واحد من هولندا فلبنان ودير تعنايل والبقاع في بلدته برقا الأب نيكولا كلويترز الذي مات شهيدًا للقضيّة التي حملها، وآخر أيضًا من هولندا فلبنان فسوريا، الأب الشهيد فرانتس فان درلوخت، وثالث من إسبانيا فاليابان، الأب الرئيس الأسبق بيدرو أروبي، الداعي إلى عيش الإيمان ملازمًا للعدالة. ورابع من التشيلي القدّيس "السعيد" ألبرتو هورتادو أبي الفقراء والمهمّشين.

فالأسبوع اليسوعيّ هو نافذة نطلّ منها لا للتعرّف على مجرّد أفكار أو مبادئ وإن كانت شديدة الأهميّة،

إنّه نافذة نطلّ منها للتعرّف إلى أشخاص يسوعيين تركوا الأثر الكبير في محيطهم وفي بيئتهم ومدينتهم ووطنهم،

فنتّخذهم اليوم مثالاً ونموذجًا للمواطن الملتزم الذي نظر إلى الآخر وإلى جاره لا لأنّه من دين معيّن أو من طائفة معيّنة أو من مذهب غير مذهبه، أو من عرقٍ موصوف، أو لأنّه غنيّ أو لأنّه عظيم، بل ينظر إليه لأنّ في وجهه علامات الأخوّة والمساواة في الانتماء إلى بشريّة واحدة، ونحن في جامعتنا، وضمن القوانين المرعيّة الإجراء والدستور اللبنانيّ، نعمل من أجل تغليب مبدأ المواطنة الذي يساوي بين اللبنانيّين ويجعل منهم متساوين في الحقوق والواجبات تجاه بعضهم البعض وتجاه لبنان الوطن، لبنان الحريّة والعدالة.

فعندما تكون الجامعة مثاليّة ونموذجيّة وعنوانًا ومرجعًا في الالتزام بقضايا الناس جميعًا، وخصوصًا المهمّشين منهم، فإنّما تستلهم ذلك من تراثها اليسوعيّ النبيل،

وعندما تبني الجامعة الجسور بين الناس وبين منطقة رأس النبع والسوديكو والأشرفيّة فإنّها تستوحي ذلك من حياة وشهادة نيكولا كلويترز وفرانتس فان درلوخت،

وعندما تستمرّ الجامعة عاملة في الحقل الإجتماعيّ عبر عمليّة اليوم السابع وغيرها من المبادرات والمشاريع فإنّها تستلهم عملها من ذلك الذي قال إنّ لا إيمان بالله صحيحًا إلاّ عندما يكون ملازمًا للعدالة، لا بالكلام فحسب بل بالعمل والأفعال وإن دفعنا ذلك المبدأ إلى أن نذهب إلى أقصى الجنوب أو إلى أبعد منطقة في عكّار،

وعندما تعمل الجامعة جاهدة لمصالحة الطالب مع أخيه الطالب، مصالحة حقّ بالكلمة والحوار الهادئ لا بالبطش وأدوات العنف إنّما تستلهم ذلك من تراث روحيّ تربويّ يسوعيّ يمتدّ على سنوات فأجيال،

وعندما لا تكتفي الجامعة بأن تعطي المعارف والعلوم وحتّى المهارات والكفاءات المهنيّة والتقنيّة والنجاح لطلاّبها، فهي تبغي، عبر برامج ودروس المواطنيّة وحلقات التفكير ومحاضرات التوجيه الروحيّ، أن تساعد كلّ واحد وخصوصًا كلّ طالب على أن يعطي معنى لحياته وأن تكون حياته حياةً شاهدةً للقيم الإنسانيّة والروحيّة والدينيّة والوطنيّة التي نحافظ عليها في هذه الجامعة.

أيّها الأحبّاء، عندما تشير شرعة جامعة القدّيس يوسف في بيروت، في فصلها الثالث، كيف على الرهبانيّة أن تكون ساهرة على مبادئ "مثل النزاهة الفكريّة والصرامة الأخلاقيّة في التعليم والبحث واحترام الحريّات وتعزيز العدالة الإجتماعيّة والانفتاح على التسامي الروحيّ"، فإنّما هي تعبّر اليوم عن اهتمامها بهذه الناحية من وجودها كجامعة وتؤكّد بالتالي إلتزامها بأن تكون حاضرة فاعلة أمام الأسئلة الهامّة والجدّية التي يطرحها كلّ واحد منّا.

في الختام أودّ أن أفشي عن سرّ صغير أو عن كلمة كان يقولها لي معلّمي الأب فرانتس فان دولوخت عندما كان مرافقًا لي في بعض مراحل حياتي كيسوعيّ : "حافظ جيّدًا على الطفل الذي هو في قلبك، يعني حافظ على هذا الفرح الذي فيك والطاقة الإيجابيّة التي في قلبك والنور

الأخّاذ الذي هو في عينك، فهذا الطفل هو حضور الله فيكَ ومعك". فسلامٌ لك أيّها الشهيد، أنت الذي كنت مثل نيكولا كلويترز مواطنًا هولنديًّا في بلدك فأصبحت مواطنًا سوريًّا لكلّ السوريين مثلما أصبح نيكولا كلويترز مواطنًا لبنانيًّا بقاعيًّا لكلّ اللبنانيين. تبقيان النموذج الحيّ والخميرة في العجين.